

«ملوانات لبنانية» .. يحصد النواذر

بيروت - لوريس الرشعيني

في الشهر الأخير من كل عام، وتزامناً مع القفز فوق «ريتم» الحياة وروتينها التقليدي، إلى موسيقى أكثر حيوية، وأحياء تنبض بها زحمة الأعياد ونقاهاة المسافرين في مشقات مسؤوليات السعي الدنيوي، يكون لعشاق الفن التشكيلي موعد سنوي مع حصاد فني يتميز في كل عام بما تفرزه المصادفة التشكيلية الجمالية، التي يقتطفها غاليري زمان المتنحي في شارع الحمرا عن زحمة وضجيج المارة والعصرنة بأساسياتها ومكملاتها.

هذا الغاليري بات مرجعية فنية حديثة، يجمع ما عُرف وما غُمر من الأعمال والفنانين، وقد نسق مدير القاعة الدكتور موسى قبيسي بتنسيق هذه الروضة الغنية بألوانها وملواناتها، بما يمليه ولهه التشكيلي أولاً، وخبرته العالمية، نتاج سنوات عمل واحتكاك مع كبار وصغار الفنانين العالميين في أوروبا والبلاد العربية ثانياً، فبعدما كان قبيسي مرجعية فنية في باريس، حيث عمل وشيّد صرحاً متحفياً جمالياً، جاء بعد سنوات الاغتراب ليتابع رسالته الفنية في لبنان، وليشكل همزة وصل وتواصل ثقافية فنية بين أوروبا وبلاد الضاد.

«ملوانات لبنانية» هو الاسم الحديث نوعاً ما للموسم الحصادي هذا، حيث إنه بدأ منذ 13 عاماً تحت اسم «ملوانات عراقية»، واستمر بعنوانه هذا لعشر دورات سنوية شهدت التمايز والنجاح، ليولد أخوه الأصغر «ملوانات لبنانية» منذ ثلاث سنوات بتتابع يتفوق على نفسه كل عام، بما يكتنزه من تراوج بين نواذر الإبداع التشكيلي العريق، والنابض بالعصرنة. هذان المعرضان السنويان هما الوحيدان اللذان يحملان الصيغة الجماعية للمعارض التي تكتنفها جدران وزوايا غاليري زمان، ويتم العمل على هذا المعرض مع بداية كل سنة، لتُجنى الثمار وتطرح في السوق الفنية في الشهر الأخير منها، فيكون بمثابة «جاروفة العام» كما يسميه قبيسي، حيث تُجمع لوحاته بطريقتين: إما من خلال الناس الذين يقصدون الغاليري لبيع ما لديهم من لوحات، بناءً على نية التغيير والتجديد لمقتنياتهم التشكيلية، أو لضيق المساحة المنزلية من جراء كثرة اللوحات، وإما بناءً على عملية تصفية للوحات المتوارثة من عشاق هذا الفن، ليصبح المعرض مؤسسة مختصة، ولكنها لا تستوعب إلا الدرر التي يقيمها، بالإضافة إلى قبيسي، مجموعة متخصصة من أساتذة الفن التشكيلي، وهذا ما يعطي الصفة المتحفية للمعرض.

وفي هذه السنة وقعت اللجنة في حيرة المصادفات النادرة والجميلة، وشكلت المجموعة الغنية للفنان العالمي انطوان ريمبو الفرنسي الأصل، الذي سكن لبنان ودرّس مادة الفنون في مدرسة «الليسيه» الفرنسية في بيروت، في أواخر الأربعينيات وخلال الخمسينيات من القرن المنصرم، وهو رسام جوال حمل دفتره وجاب لبنان، ليرسم ما يأسر نظره من مناظر طبيعية وتراثية وحياتية، وكان يكتب على اللوحة عبارة «هذه لوحة زيتية.. هذه مائية» وهكذا، وكأنه يضع مصغراً لمشروع أكبر، وفعلاً هذا ما اتضح عندما نقلت لوحاته الصغيرة الرصاصية الخط إلى لوحات كبيرة لونية مع إضافات إحيائية لإنسان أو حصان، وغيرها من الأشياء الناضجة حركة وحياء. وهذه اللوحات الرصاصية الصغيرة ألفت مجموعة من 33 لوحة فنية ذات طابع تراثي واقعي جميل، والتي شكلت نوعاً من الأرشفة لمناطق لبنانية، معظمها تمحور في العاصمة بيروت، بالإضافة إلى بعض مناطق فالوغا وعاليه وصوفر وجونية وغيرها في منطقة جبل لبنان، بالإضافة إلى مشاركة 32 فناناً، منهم من عُرض له عمل أو أثنان

أو أكثر، فكانت المعطيات تفترض قيام معرضين رديفين، أحدهما خاص بالفنان العالمي ريمبو، والآخر جماعي يضم بقية المجموعة من فنانين عُرِفَت أسماؤهم أو غُمرت، وعُرِفَت عنهم إبداعاتهم الخالدة.

إلا أن اللجنة وحرصاً منها على روحية المعرض وفلسفته ارتأت أن تخصص ركناً كبيراً من الغاليري لأعمال ريمبو، وتركت المساحة المتبقية لأعمال بقية الفنانين.

ومن المفاجآت الفنية في المعرض عمل للفنانة العريقة سلوى روضة شقير، وهو بورترية رمزي تجريدي الإيحاء لم تألفه في سيرتها الفنية، يجسد رأس رجل كهل قد يكون مبرر كهولته بعيداً أو قريباً من عامل السن أو من الشقاء الدنيوي، أو أبواب أخرى مفتوحة الاحتمالات، وهو عمل ذو تقنية عالية لا تُصنّف وقد سماه قبيسي «حزورة المعرض».

ومن الأعمال أيضاً عمل للفنان اللبناني من أصل أرمني بول غيراغوسيان، وهو قد يولد الشك في انتسابه إلى أعمال الفنان، ولكنه لا يطبع اليقين لغرائبيته عما قدم بول خلال مسيرته الفنية، العمل تجريدي تعبيرى، أشخاصه الثلاثة مغيبو الملامح مضيئو الألوان والهيئة وسط عتمة الخلفية، وقد برزوا من خلال مزيج لوني اشترك فيه الأبيض مع الرمادي، مع اللون الأزرق الفاتح التانه بينهما، هؤلاء الأشخاص تجلس واحدة منهم وهي الموحية بالأنثى إلى طاولة صغيرة مستديرة عليها فانوس الزيت القديم، وهي تحاول إضاءته، وحول الطاولة يقف الظلان المضيئان المتبقيان حيث يوحى أحدهما للطفل والآخر الأكثر تعتيماً باللون الرمادي للجدة، وتلمس بهذه الأخيعة البشرية ملامح الإغريق أو اليونان أو حضارات مشابهة في فترة تاريخية معينة، كما قد تستوحي منهم الفقر، أو الخوف واللجوء للعبادة، أو الدعاء لعودة الأب المرحل في إحدى الحروب، وما يوجد ضمن دائرة هذه الرمزية.

ومن نوادر المعرض أيضاً ثلاثة أعمال للفنانة اللبنانية ماري حداد، وهي من الرائدات في الفن التشكيلي التي أثبتت جدارتها في فرنسا وسط الخط العالمي للفن، حيث عرضت هناك في فترة الأربعينيات، ومن بين الأعمال لوحة انطباعية بروحية تعبيرية جسدت من خلالها مشهداً قروياً لمنزلين ريفيين بسيطين، وسط مدوّ واسع وأفق جبلي متحد مع السماء، وغلبت على لوحتها الألوان الترابية مع تدرجات الأخضر المعتمة، و«كونتراس» لوني ضوئي يوحى بمساء خريفى قروي.

وعُرض للفنانة الراحلة هيلين الخال أعمال وسط هذه المجموعة الواسعة والنادرة من أعمال الفنانين المعروفين، والذين غابت تواقيعهم وهويتهم، وحملوا جواز عبور من خلال ما جسّدوا وتركوا من روائع في الفن التشكيلي.

ومن الطبيعي «أن يتحمل معرض كهذا مدارس منهجية ولونية لا حصر لها، وقد تحمل في طياتها التجريب والتغريب» حسبما قال قبيسي، مضيفاً: «أن العامل المشترك في المعرض وما يعطيه هذه الطرافة، هو الحديقة الغناء التي يجتمع فيها الياسمين والزنبق، قرب الورد الجوري الغالي، وهي فكرة أن الفن ليس قيمة مادية فقط، وأشير هنا إلى عمل نضعه حالياً ضمن إطار، وهو مجهول الهوية الفنية، فلو أنه حمل توقيع أحد المشاهير لبيع

بمئات الأضعاف من رقمه المالي الحالي».

وما زالت الدرر الفنية ترتحل من غاليري زمان، وتتوافد إليه امتداداً إلى اليوم الختامي من السنة، وهو تقليد «ملونات لبنانية» في الشهر الأخير من كل عام.

تاريخ النشر : 04-01-2010